المجلة الأردنية للفنون، مجلد 6، عدد2، 2013، 175- 198

أغاني الأطفال الشعبية في الأردن ودلالاتها الرمزية

صبحي ابراهيم الشرقاوي وأكرم عادل البشير
كلية العلوم التربوية، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن
وعزيز أحمد ماضي
قسم الموسيقا، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

تاريخ الاستلام: 2011/10/20 **تاريخ القبول:**2013/1/3

The Popular Children's Songs in Jordan, and Their Symbolic Implications

Subhi Ibrahim Sharqawi, Akram Adel Abedallah Al-Basheer, Department of Teaching and Curriculum, Faculty of Educational Sciences, The Hashemite University, Zarqa, Jordan.
Aziz Ahmad Madi, Department of Music, Faculty of Fine Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد الدلالات الرمزية في أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، ولتحقيق ذلك قسّم الباحثون الدلالات الرمزية لأغاني الأطفال وألعابهم إلى دلالات دينية، واقتصادية، واجتماعية، وتربوية وميتافيزيقية، ووطنية. وأشارت النتائج إلى أن أغاني وألعاب الأطفال تحمل دلالات محددة، وأن بعضاً من هذه الأغاني يركز على إبراز اللحن الموسيقي أكثر من اهتمامها بإبراز المعنى، وهذه المعاني والدلالات نابعة من واقع الحياة الاجتماعية والدينية، ومستوحاة من الموروث الشعبي والبيئة الاجتماعية المحيطة. فضلا عن الدور البارز للظروف الاقتصادية والسياسية في تعلق الأطفال بنماذج معينة من الأغاني والألعاب، الدالة على حدث أو قصة مرتبطة به. وفي ضوء هذه النتائج خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: أغاني الأطفال الشعبية، تربية موسيقية، لغة عربية، دلالات رمزية.

Abstract

This study aimed to determine the symbolism of the popular children's songs in Jordan. To achieve this, the researchers divided the symbolic implications of children songs into the religious, economic, social, educational, metaphysical and national. The results indicated that the children`s songs and games have specific implications, although some of the songs focus on highlighting the melody more than the meaning. These meanings and implications stem from the actual social and religious life, and are inspired by the Jordanian heritage. It was also found that economic and political conditions play aprominent role in the child`s attachment to specific types of songs and games. In light of these findings the study concluded with a number of recommendations.

المقدمة:

درجت المجتمعات في كل بيئة ثقافية أو مرحلة من مراحل تطورها، على الاحتفاء بالقيم العليا، والاحتفاظ شبه العفوي بالقواعد والعادات والتقاليد، التي تنظّم علاقات الأفراد والجماعات داخل المجتمع الواحد. وإذا ما تمّ التركيز أو تسليط الضّوء على وظيفة العادة أو التقليد؛ فإننا سنجد أنها تساير حياة الفرد وحياة الجماعة مسايرة تامة، وأنها إذا كانت ثمرة تجربة أو خبرة؛ فإنها تحتفظ بأصالة الفطرة الإنسانية من ناحية، ومسايرة ما يسفر عنه التطور المجتمعي من ناحية أخرى.

لقد أثمر التقدم الباهر في الدراسات الإنسانية إلى نتائج محققة فيما يتصل بالنّظم والقوانين العرفية، إذ اتضح التماثل والتشابه بين عادات قديمة ممعنة في القدم، وبين عادات لا تزال لها وظائفها في أكثر الشعوب والمجتمعات تقدّما وحضارة، وما من تقليد أو طقس إلا ونجد له نظائر في جميع أنحاء العالم، الدلالات واحدة والرموز واحدة، والنتائج المرتقبة واحدة؛ فاختلاف الأجواء الطبيعية، وما يتوقعه الإنسان من البرد والحرّ والاعتدال، يقابله الإنسان بالأمل والخوف، ويستعد له بما ينبغي من احتياطات، ويعبّر عن ذلك كله بطقوس تحمل البشائر أو النّذر، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من حياته ومن سلوكه، وربما كانت هذه الطّقوس أثرا من عقيدة بائدة، ولكنها لا زالت تحيا ما دامت وظائفها الحيوية والاجتماعية، تأخذ مكانها في المجتمع الذي تعيش فيه (العنتيل، 1965).

إن مجتمعات الصغار لا تختلف كثيرًا عن مجتمعات الكبار، فهي لها ممارساتها وتقاليدها، لما تؤديه من الغناء واللّعب، والذي يُعدّ في نظر الصغار المسرح والفضاء الرّحب، الذي من خلاله يستطيع الأطفال التعبير عن كل ما يدور في دواخلهم من أفكار وطموحات لتحقيق الذات؛ لذا فإننا نجد أن الأطفال في لعبهم وغنائهم، إنما يحاكون ويقلدون ما يقوم به الكبار، مما يبرر هذا التّقارب والتّشابه في الكثير من المعاني والمضامين الأدبية والموسيقية (الباش، 1979).

يعدّ الغناء بمفهومه البسيط أهم لغة وجدانية عرفها الإنسان في كل زمان ومكان، واختصت به الجماعات البشرية، سواء أكانت جماعات حضارية أم بدائية، مما ترتب عليه تعدد لهجات الغناء، وتنوّعها، حسب نوع الجماعة، والبيئة الاجتماعية والثّقافية التي تعيشها. ويهدف الغناء إلى الإشباع العاطفي، ويضفي على النفس جوًا من البهجة والسّعادة، ويروّح عن الذّهن وينشّطه، وهو من الجوانب التي تزوّد الأطفال بمدركات ومفاهيم، تشمل ما تسعى إليه التربية بتنمية المعارف اللغوية، والتاريخية، والقصصية، وتثبّت في نفوسهم الوعي الديني، والقومي، والتهذيب، بما تتضمنه لغة الغناء من قيم وأفكار وأهداف (عوض، 1982).

يرتبط الغناء ارتباطاً تاماً بحياة الطّفل منذ سنيّ عمره الأولى، فهو يتوافق مع الأصوات والغناء؛ فينام على صوت أمه وهي تهدهد له؛ ويضحك حينما ترقّصه بين يديها، ويجري ويقفز حين تداعبه، فيغني مشكّلاً الحلم الجميل، والعالم الطّفولي الذي يحلم به الكبار، وينشأ الطفل مع الغناء؛ فتتكون عواطفه ومشاعره بنقاء وصفاء الأغنية المنسابة إلى أذنيه في صوت أمه.

إن التّطور الحاصل والمستمر في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ترتّب عليه فَقْدُ ما كان سائدا لعقود خلت، عندما كان الأطفال في الحيّ الواحد يجتمعون في أوقات فراغهم، وفي المناسبات المختلفة، يلعبون، ويغنون، مشكّلين جماعات، يتبادلون معها، صداقات مملوءة بالمشاعر الطيبة والأحاسيس، التي كانت سمة مميزة للمجتمعات العربية بشكل عام، وللمجتمع الأردني بشكل خاص. لقد كان للأغنية دور

أساسي ووظيفي في جميع الأوقات، سواء أكان ذلك في الحي: خارج البيت أم داخله؛ فكان لكلّ موسم ومكان غناؤه وألعابه الخاصة؛ فهناك ألعاب مصاحبة للغناء تمارس داخل البيت، لا تتسم بالحركة السريعة أو الانتشار لأفراد اللعبة، أما الساحات العامة فكان اللّعب فيها، يمتاز بالجري والقفز والحركة للأطفال، بما يشيعه من بهجة وفرح، مما ينعكس بشكل إيجابي، نحو تكوين صداقات قوية وعلاقات حميمية بين الأطفال (الصنفاوي، 1982).

لقد شكّلت أغاني الأطفال رابطا أساسيا، ولبنة مهمة من لبنات البناء، الذي يتشكّل منه المجتمع الأردني الواحد؛ فالأغنية بما تحمل من معانٍ وقيم ورموز بالنسبة للأطفال، تعدّ خليطًا ممّا تحمله الأغاني الشعبية الأردنية، فهي تحمل الدلالات والمعاني والقيم ذاتها، التي تحاكي حاجات هذا المجتمع، الذي تعدّ الزراعة، واحدا من أهم مجالات كسب العيش فيه، فهو مجتمع زراعي، متعاضد، متماسك في كل تفاصيل حياته؛ فطموحاته واحدة، وكذلك همومه، لذا فموسم الزراعة، بما يحمله من الخير والرخاء، غاية طموح المزارعين، الذين كانوا يشكّلون - فيما مضى- ثلثيّ المجتمع الأردني تقريبا، ولهذا فإن الدلالات الرمزية في أغاني المطر، وما تحمله من معانٍ دينية واقتصادية، تعدّ أساسا في غناء الأطفال والكبار، وهذا سبب رئيس، وتفسير واضح وجليّ، للُحمة والتعاضد الذي كان يعيشه المجتمع، فالتّماسك والتّواصل بين جميع فئاته العمرية -على اختلاف أطيافه- حاصل، من استمرارية وتواصل وحدة بناء الأغنية، بما تحمله من مضامين ومعانٍ وقيم، تعدّ سبباً من أسباب وحدة المجتمع واستمراريته وتواصله.

مشكلة الدراسة وسؤالها:

إن المتتبع لما يبثّ من وسائل الإعلام المختلفة، وما يؤلف ويدرّس للأطفال في منهاج اللغة العربية، ومنهاج التربية الموسيقية، ومناهج المواد الأخرى في الأردن، لصفوف المرحلة الأساسية من أول إلى عاشر أساسيين، يلاحظ بشكل واضح ودقيق، الإغفال، وعدم الاهتمام من القائمين على إعداد هذه المناهج، بما تحمله أغاني الأطفال الشعبية من معانٍ، ومضامين، ودلالات مرتبطة جميعها بالواقع، وبشكل بسيط وعفوي، يتصل بطموح المجتمع الأردني وثقافته، مقابل تضمينهم المناهج الدراسية أناشيد أطفال مغناة حديثة، تعاني من تهميش فكري، وحضاري، وثقافي. لذا تكمن مشكلة البحث في تحديد الدور المهم الذي يمكن لأغاني الأطفال الشعبية الاضطلاع به، بما تحمله من الكثير من المعاني والقيم والدلالات الرمزية والموسيقية، التي يمكن استخدامها وتوظيفها في عدد من المجالات التربوية والتعليمية.

وتحديدا فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن السؤال الآتي:

ما الدّلالات الرمزية (الدينية، والاجتماعية، والوطنية، والتربوية، والاقتصادية، والميتافيزيقية) في أغاني الأطفال الشعبية في الأردن؟

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد الدلالات الرمزية في أغاني الأطفال الشعبية في الأردن وتوضيحها، وإبرازها، حسب دلالاتها الدينية، والاجتماعية، والوطنية، والتربوية، والاقتصادية، والميتافيزيقية، وإلى توضيح آلية توظيفها في المجالات التربوية والتعليمية، وذلك بتضمينها المناهج التعليمية للمرحلة الأساسية من الصف الأول إلى العاشر بشكل عام، ومنهاج اللغة العربية لهذه المرحلة بشكل خاص، فضلا على استخدام ما ستتمخض عنه هذه الدراسة من نتائج، في تطوير الخطط الدراسية والمساقات في التخصصات الموسيقية لمرحلتي البكالوريوس والماجستير في الجامعات الأردنية.

أهمية الدراسة:

لقد أدّى التّطور التّكنولوجي على مختلف الصعد والمستويات، وما واكبه من تطور في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، إلى انحسار دور الأغنية الشعبية، وما تؤديه من علاقات اللعب والتواصل بين الأطفال لخلق مجتمعات صغيرة، تشكّل بدورها النواة الأساسية لمجتمعات الكبار. وعليه تكتسب هذه الدراسة أهميتها في أنها تسلّط الضّوء على ما تحمله أغاني الأطفال الشعبية وألعابهم في الأردن، من دلالات رمزية، والإفادة منها وتوظيفها وتضمينها في المناهج الدراسية للمرحلة الأساسية من الصف الأول إلى العاشر بشكل عام، ومنهاج اللغة العربية لهذه المرحلة بشكل خاص، الأمر الذي من شأنه الإرتقاء بالذائقة الأدبية والموسيقية للنشء، لكونها ترتبط ارتباطا وثيقا بحاجات الطفل واهتماماته، وهي أقرب إلى نفسه وإدراكه. فضلاعن ما تقدمه هذه الدراسة من فرصة لمعلمي التربية الموسيقية في مدارس وزارة التربية والتعليم، باستخدام هذه الأغاني لتعلّم العزف على الآلات الموسيقية المختلفة، لسهولة الجملة الموسيقية فيها والتي تعد سمة من سمات أغاني الأطفال الشعبية في الأردن .

محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على مجموعة من أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، التي تشير إلى دلالات رمزية بشكل واضح تماماً، وهي: الدلالة الدينية، الدلالة الاجتماعية، الدلالة التربوية، الدلالة الوطنية، الدلالة الاقتصادية، والدلالة الميتافيزيقية، بواقع مثالين لكل دلالة.

أغنية الطفل الشعبية:

تعدّ الأغنية التي ابتدعها الأطفال بشكل تلقائي وعفوي، وما ابتدعه الكبار وغنّوه لأطفالهم، وبخاصة أغاني المهد، تراثا شعبيا من أغاني الأطفال؛ فهي جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي للكبار، بما تحمله من تواصل في المعنى، والمضمون، والشكل الموسيقي والأدبي، مع شيء من التبسيط بما يتلاءم وقدرات الأطفال الفنية والفكرية، والدليل على ذلك ما نلاحظه في كثير من أغاني الأطفال، التي تستخدم نفس الألحان المستخدمة في أغاني الكبار، وهذه الأغاني جاءت غالبا لتواكب لعبة معينة، ارتبطت بها، وانتشرت بين الأجيال المتعاقبة من الأطفال نسبيا، وتدور ألحانها في حيز ضيق يتراوح بين درجة لحنية واحدة، تؤدى بشكل إلقائي، إلى درجتين أو ثلاث درجات، ولكنّها لا تتعدى في الغالب أربع أو خمس درجات، وغالبا ما تتخللها قفزة ثالثة صغيرة أو كبيرة أو ثانية زائدة (الخوالدة، 1987).

إن اللعب يعدّ دافعاً مكتسبا لدى الطفل، وله وظيفة حيوية في إعداد الصغار لحياة الكبار، ولو نظرنا إلى التقليد في اللعب لوجدنا أنه - فضلا عن الإبداع- يعدّ تدريبا، وتنمية للوظائف الجسمية، والعقلية، والاجتماعية (مختار و أبوحطب، 1999).

ولعلّ اللّعب والغناء عند الأطفال، من أقوى الدوافع لعملية الإبداع والخلق؛ فنرى خلق أغانٍ فورية، تبدأ بسيطة، ثم يُزاد عليها، حتى تصبح ألعابا كاملة، أما من ناحية التقليد في خلق الأغنية الشعبية عند الطفل؛ وعليه، كما ورد في الباش (1979)، فأنّ علماء النفس يرون أن الأطفال لا يتأثرون بوالديهم فقط، فالتّراث الذي يحملونه، ويؤدونه بأنفسهم له تأثيره الخاص، إذ ينقل الأطفال إلى أقرانهم الآخرين، نماذج لقواعد سلوكية وأخلاقية، قبل أن يصبحوا كباراً بالغين.

ويلاحظ ممّا لمسه الباحثون في النصوص الغنائية الشعبية للأطفال، أن الطفل يغني دون أن يعي ما يقول بشكل متكامل؛ فهو لا يلجأ إلى التفتيش عن المعنى بقدر ما يفتش عن اللحن الموسيقي، والقافية، وهذا بالطبع ما يناسب حركة اللعب، إذ هناك كثير من الكلمات التي ليس لها معنى في أغنية الطفل، سوى أنها جاءت لضبط الوزن والقافية.

تعدّ الألحان الشعبية أو الألحان المبتكرة على نمطها، من أقرب الألحان إلى وجدان الطفل وارتباطه ببيئته، وثقافة وتقاليد بلاده، لهذا فقد اعتمد الكثير من المربين الموسيقيين - منهم المربي المجري سلطان كوداي (1882-1967)، على الأغاني والموسيقى الشعبية، بوصفها محورا لمؤلفاته الأوركسترالية والتربوية، فقد اعتمد بشكل رئيس، على وضع خطة التربية الحديثة بتلك الألحان الشعبية (صبري وصادق ومختار، 1978).

أما الألماني كارل أورف (1895-1982)، فقد اعتمد أغاني الأطفال الشّعبية، والحكايات، والقصص الأسطورية، بوصفها الأساس الذي تدور حوله تربية الطّفل الموسيقية، وذلك لاتصالها ببيئة الطّفل وحاجاته (صبري وصادق 1978)، فكما أشارت العديد من الدراسات والأبحاث العربية، إلى أهمية توظيف الأغنية الشعبية للأطفال، في المناهج الدراسية التعليمية، بما تتضمنه من معانٍ ودلالات مرتبطة بواقعه؛ فقد هدفت الدراسة التي أجرتها (فتح الله، 1979) للتعرف إلى أهمية استخدام الأغنية الشعبية ودورها في تربية الطفل موسيقيا، في المنهاج المعدّ لتدريس الموسيقى للأطفال، وذلك لسهولة استيعابها وتذوقها من قبل الطفل، ونظرا لما تحمله من بساطة في المعنى واللحن والايقاع، وأيضا بما تتميز به من معايشة يومية، وتكرار على أذن الطفل، تسهم وبشكل كبير، في إيصال المعلومة الموسيقية، وما تحمله من تعبيرات ومفاهيم، يمكن استنتاجها من خلال أداء هذه الجمل اللحنية البسيطة. أما الغوانمة (1989)، فهدفت دراسته التعرف إلى إمكانية توظيف الأغنية الشعبية الأردنية في تعليم العزف على آلة العود للمبتدئين، وقد أشارت النتائج إلى أن استخدام الأغنية الشعبية الأردنية، بما تتميز به من البساطة في جملها اللّحنية، وبساطة أشكالها الإيقاعية، أقرب إلى الإدراك الحسي للمبتدئين، في تعلم العزف على آلة العود.

لقد أكدت الدراسات الآنفة الذكر، على أن سهولة استيعاب أغنية الطفل الشعبية، مردّها ما تتميز به أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، من مواصفات تتطابق مع الأغاني الشعبية العالمية، فهي تنحصر في مساحة صوتية ضيقة، لا تتعدى نغمات الديوان الموسيقي الواحد (من درجة د- د1)، وقد اختلفت الآراء في تحديد مساحة صوت الطفل بشكل دقيق، الأمر الذي قد يعزى إلى التدريب أو البيئة الثقافية والفنية التي يعيشها الطفل، إلا أنه من المؤكد أن أغاني الأطفال الشعبية الأردنية، تنحصر في مساحة صوتية لا تتعدى نغمات السلم الموسيقي الواحد على أكثر تقدير، بل إنها غالبا ما تنحصر في حدود العقد الأول من السلم

الموسيقي، وهذا ما يظهر في الأغاني التي سيقدّمها الباحثون من خلال هذا البحث، حيث يلاحظ أن هذه الأغاني لا تنتمي في تركيبتها اللحنية إلى ما تسمى المقامات الموسيقية الكاملة، أما النصوص؛ فهي منظومة بحيث يبدو فيها الحرص على وحدة القافية والوزن، حتى يتحقق الإيقاع دون الاهتمام بمنطق المعنى، أو ترابط الفكرة؛ فهي بسيطة في معناها، ساذجة في تعبيرها، وهذا ينطبق على جزء منها، وهو ما قام بصياغته الطفل نفسه، أما الجزء الآخر وهو ما صاغه الكبار ليغنوه لأطفالهم ؛ فنجد الترابط فيه واضحا في العناصر المختلفة للأغنية، مع الحرص على بساطة المعنى، ليواكب إمكانات الطفل، وقدراته الموسيقية، والصوتية البسيطة، والطبيعية، لذا فهي تنتشر بين الأطفال بمختلف مراحل أعمارهم، ليغنوها بأصواتهم مقلدين الكبار، إذ هي في الأصل موجهة لهم، وهم الأكثر قدرة على الإحساس بها، وفهم وإدراك ما ترمي إليه هذه الأغاني (الخوري، 1976).

الدلالات الرمزية في أغاني الأطفال الشعبية:

عندما نتحدث عن الطفل، وكيف يتعامل مع الأشياء حسب تطور سنه، فإنه لا بد من الإشارة إلى جانب مهم من حياته، وهو الغناء واللعب؛ فهذه الأغاني والألعاب، تحمل دلالات محددة، وإن بعضاً من هذه الأغاني، يركز على إبراز اللحن الموسيقي، أكثر من اهتمامها بإبراز المعنى، غير أن هناك أغاني وألعاباً تحمل في طياتها معاني أكثر تعبيراً (قدوري، 1992). وقد تكون هذه المعاني والدلالات نابعة من واقع الحياة الاجتماعية والدينية، ومستوحاة من الموروث الشعبي والبيئة الاجتماعية المحيطة. فضلا على ما تلعبه الظروف الاقتصادية والسياسية، من دور بارز، في تعلق الأطفال بنماذج معينة من الأغاني، والألعاب الدالة على ظرف من الظروف، أو قصة من القصص. وعليه، سنلجأ هنا إلى تقسيم الدلالات الرمزية لأغاني الأطفال الشعبية في الأردن إلى ما يلي:

1- الدلالة الدينية.
2- الدلالة الاجتماعية.
3- الدلالة الاقتصادية.
4- الدلالة الوطنية .
5- الدلالة التربوية
6- الدلالة الميتافيزيقية.

1-الدلالة الدينية:

للمعتقدات الدينية دور مهمّ في بناء شخصية الطفل؛ فقد تناول الأطفال والكبار في الأردن، سواء في المدينة أو القرية هذه الظاهرة بشكل عفوي، وذلك استجابة للحسّ الديني، والانتماء له، إذ نلاحظ أن أكثر هذه الدلالات والرموز موجودة، وبشكل واضح جداً، في تهاليل الأم وأغانيها لطفلها:
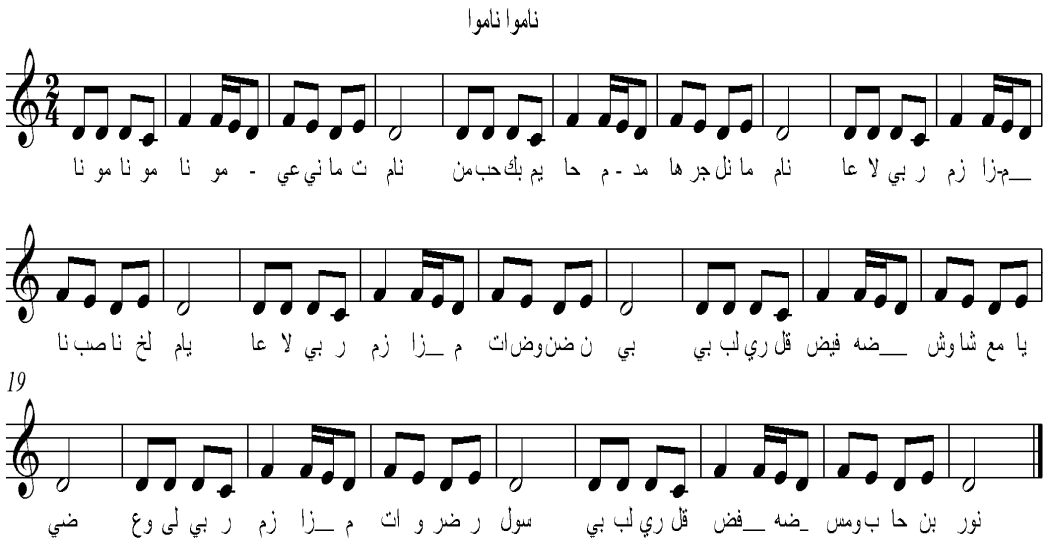
ناموُا ناموا ناموُا عِيني ما تِنامْ
مِنْ حُبَكْ يا محَمَدْ هَجَرْنا المنامْ
على بيرْ زَمْزَمْ نَصَبْنا لخْيامْ
على بْيرْ زمْزمْ توَضى النَبي
بيلِبْريق الفِضَة والشَمِعْ يَضي
على بيرْ زَمْزَمْ توَضى الرسوُلْ
بيلِبْريق الفِضَة والمَسْبَحَة بَنُورْ

ونجد أن التهاليل والترانيم، أقرب ما تكون إلى النواحيات (أغاني النواح)، وذلك لما فيها من قصص متعلقة بالدين؛ فمعظم تهاليل الأم نراها تتحدث عن ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم)، مما يصعب أحيانا، التمييز بين الغرض من هذه التهاليل، فيختلط الأمر على السامع، والسبب في ذلك أن هذا الغناء موجّه للطفل؛ فهو غير قادر على إدراك المعاني ومراميها.

ونلاحظ هنا أن الإكثار من ترديد الصلاة على النبي، مرده إلى الموروث الديني، واعتقاد الأم بأن ذلك يؤدي إلى شفاء الطفل أو التسريع في نومه، وكثيراً ما يرد أيضاً ذكر الله في هذه التهاليل (أبوسعد، 1982).

وهذا الحسّ الديني جاء متوارثاً عن تعاليم الدين الإسلامي والمسيحي، وتظهر الدلالة الدينية في المناسبات خاصة؛ ففي شهر رمضان، نسمع الأطفال يغنون الأغاني التي تحمل الحسّ الديني والأخلاقي، فهم ملتزمون بتقليد الكبار في صيامهم حتى ولو لم يبلغ بعضهم عمر التكليف، وهو العمر المفروض فيه الصيام من ناحية دينية. أما في الجانب الأخلاقي المرتبط بالدين؛ فهو استهجان إفطار أحدهم في هذا الشهر، وفي هذه الحالة فإن الأطفال يصفون من يقوم بذلك، بأوصاف تكاد تصل إلى حد من يأكل الميتة، أو من يشرب الدّم، وهو وصف جدّ قبيح ، ومثال ذلك:

يامفطر رمضان
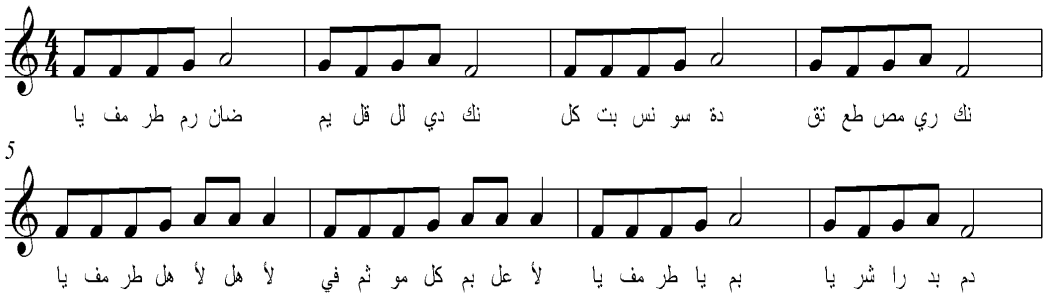
يا مِفْطِرْ رَمَضانْ يا مقَلِلْ دينَكْ
كَلْبِتْنا السُودَة تِقْطَعْ مَصَارِينَكْ
يا مِفْطِرْ هَلاَّ هَلاَّ في ثُمُّهْ كُلْ يومْ عِلَّهْ
يا مِفطِرْ يا بُمْ يا شَرابِ الدَمْ

يؤدي الأطفال هذه الأغنية أثناء لعبهم، في حالة أن رأوا أحدا من الكبار خاصة، مجاهرا بإفطاره، أو أحدا من أقرانهم، وهي من الأغاني التي تؤدى بشكل حرّ، وربّما يصاحب غناء الأطفال الطّرْق على صفيحة أو حجر أو أي شيء آخر، يصدر صوتا، قد تقع أيدي الأطفال عليه، وعلى الأغلب فإن هذه الأغنية تؤدى في المناطق الشعبية، والتي عادة ما يتجمع الأطفال للّعب في حاراتها وأزقتها.

ومن الأغاني التي يغنيها الأطفال أيضا، وتظهر الدلالة الدّينية بشكل واضح، أغاني العيد (عيد الفطر وعيد الأضحى)، التي تعدّ أيضا مناسبة دينية خاصة، لما ترتبط به من مناسبة الصيام أو الحج؛ فالأعياد هي عيد الفطر وعيد الأضحى، وهي مناسبات ينتظرها الأطفال بفارغ الصبر، بما تحمله لهم، من فرح، وملابس جديدة، وزيارات متبادلة للأقارب، وما يرافقها من الكثير من الحلوى والمال (العيدية):

بكره العيد بنعيد
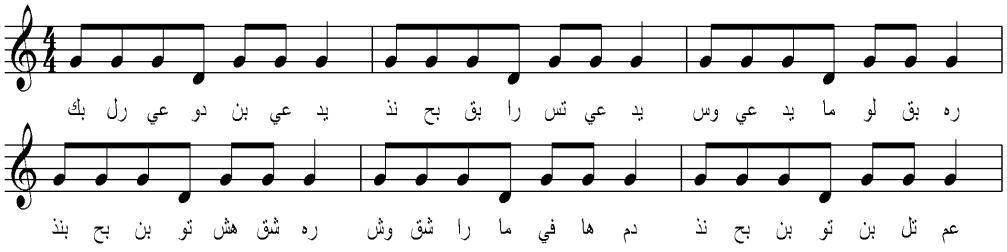
بُكْرَة العِيدْ بِنْعَيدْ بنِذْبَحْ بَقَرَةِ سْعَيدْ
وسْعَيدْ ما لُهْ بَقَرَة بنِذْبَحْ بِنْتُه هالشَقْرَة
والشَقْرَة ما فِيها دَمْ بنِذْبَحْ بِنْتُه بِنْتِ العَمْ

وتظهر الدلالة الدينية في هذه الأغنية، بالإشارة إلى عيد الأضحى المبارك، وما يصاحبه من تقديم الأضاحي، وقد تشير الأغنية بشكل رمزي ميتافيزيقي إلى الحكاية الشعبية، والتي تتحدث عن تقديم القرابين، حتى ولو استدعى ذلك التضحية بأجمل بنت، وفي أغاني الأطفال فهي تأتي على شكل الدعابة للوصول إلى حالة المرح المرتبطة باللعب غالبا عند الصغار.

2- الدلالة الاقتصادية:

الدلالة الاقتصادية مرتبطة بالأرض، ولاسيما أن الغالبية العظمى من سكان الأردن - خاصة فيما مضى- تعدّ من الفلاحين والمزارعين، فهم شكّلوا النسبة الأكبر من السكان في الأردن. ولما كانت الظروف الاقتصادية لم تتطور بعد؛ فإن اعتماد المزارعين على المطر، لريّ أراضيهم ومزروعاتهم كان أساسياً. وبما أن الأغنية جزء من الأدب الشعبي، فقد عبرت عن هذه الدلالة أصدق تعبير؛ فنرى أن بعض الأغاني تتوجه مباشرة بالنداء للمطر، وكما أشرنا سابقا، فإن الأطفال يقلدون الكبار، ويعبرون أصدق تعبير عمّا يعيشه آباؤهم، وهم لسان حال الكبار، فما لا يستطيع الكبار التصريح به غناءً، تنطلق به حناجر الأطفال وألسنتهم، فيلهجون بالدعاء والاستغاثة من الله، طالبين الغيث، يتغنون بها في حالة من التفاؤل والفرح واليقين، بنزول المطر، فيرقصون ويلعبون، في الوقت الذي به يستغيثون، فهو تقليد وطقس كان يقوم به الفلاح أو المزارع، على امتداد التاريخ إلى عصر ما قبل الإسلام، والعصور المتعاقبة بعد ذلك:

يالله الغيث ياربي
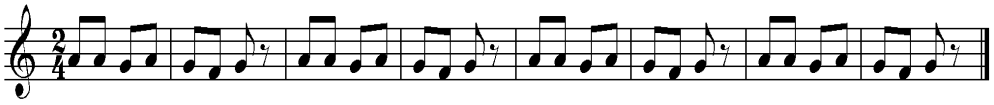
يَلاَ الْغِيثْ يا رَبي تِسْقي زَرعْنَا الْغَرْبي
يَلاَ الْغِيثْ يا دايمْ تِسْقي زَرعْنَا النايمْ

والمتتبع لكلمات أغاني المطر يجد أنها جميعا، تتوسل إلى الله، في دلالة قوية على قدرة الخالق عز وجل ،وإيمانا من هذا الفلاح البسيط على أن لا ملجأ له لطلب العون إلا الله.

يتغنى الأطفال بالكلمات نفسها في المثال السابق، إلا أنها تعبر عن حالة مغايرة لحالة الفرح في المثال الأول، علما أن الاختلاف في اللحن ليس كبيرا، إلا في بعض التفاصيل، التي تتمثل في نهاية كل عبارة (العبارة تتكون من مازورتين)، ويلاحظ في هذا اللحن حالة الإعياء والتعب التي تنتاب الأطفال، خاصة بعد أن بذلوا في غنائهم كلّ جهد، لكنّ المطر لم ينزل، وما كانوا ينتظرونه لم يأت بعد، لكنّ الفلاح البسيط، على يقين دائما أن الفرج آتٍ، وأنّ ما عند الله قريب، ولم تترك الأمثال الشعبية هذه الحالة دونما ذكر (ساعة من ساعاته بتقضي حاجاته)، والمقصود بذلك أن ساعة واحدة يمكن أن تسيل منها الأودية ليعمّ الخير.

ياالله الغيث يادايم
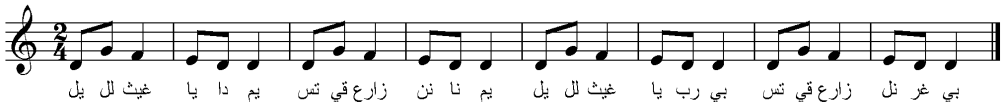
يَلاَ الْغِيثْ يا دايمْ تِسْقي زَرعْنَا النايمْ
يَلاَ الْغَيْثْ يا رَبي تِسْقي زَرعْنا الْغَرْبي

قد تتداخل المدلولات الدينية مع المدلولات الاقتصادية؛ فمثلاً انحباس المطر في الشتاء، وعلاقتها بالأرض، نراه يرد ضمن أغانٍ تحمل الدعاء إلى الله، والطلب منه إنزال المطر المحبوس، رأفة بالأطفال والشيوخ، وهو طلب موجّه من الأطفال مباشرة إلى الله سبحانه وتعالى، فهم الأقرب للاستجابة من الله، منزل المطر، والدعاء هنا صريح بعيد عن الرمزية من الأطفال. والمتتبع لِلحن هذه الأغنية، يلحظ تماما حالة الإعياء الواضحة في اللّحن؛ فنهاية العبارة الموسيقية الأولى تتطابق مع نهاية العبارة الكلامية الأولى كذلك، والتي يظهر فيها بشكل جليّ وواضح، الترجّي من الله لإنزال المطر(العبارات المزدوجة في الكلام واللحن)؛ فهي ترتكز على درجة أساس المقام، بتمهيد من النغمة التي تسبقها، وهي رمز لهذه الحالة من الترجي والتعب النفسي، التي تصيب المزارع في حال عدم نزول المطر، وهي في الوقت ذاته، تعبير صادق من الأطفال، لما يحسّ به الكبار، وهذا تأكيد على مدى تتطابق أغراض أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، مع ما ترمز له أغاني الكبار؛ فمجتمع الصغار انعكاس حقيقي وصادق عن مجتمع الكبار في الريف الأردني .

ياالله الغيث ياربي
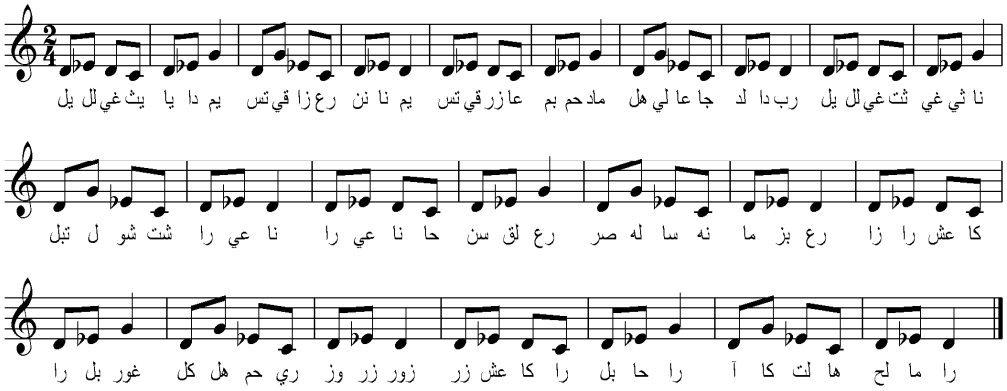
يَاالله الْغِيْثْ يَا رَبي تِسْقي زَرِيْعنَا الْغَرْبي
تِسْقِي زَرْعَ ابو مَحَمَدْ هَلِلِي عا جَالِ الدَربْ
يَاالله الغيْثِ ثْغِيثِينَا ثْبَلِلْ شُوُشِةِ راعِينا
راعِينا حَسَنْ لْقَرَعْ صَارْلُه سَنِة ما بزْرَعْ
زَرَع شكارَة بلْغُوْر كَلْهَا الْحِمْرِي والزَرْزُورْ
زَرَع شْكارَة بالحَارَة أكَلِتْها لِحْمَارَةْ

ومن الملاحظ أن أغاني الأطفال الشعبية التي تتحدث عن هذه المعاني الجادة؛ لا تخلو من حسّ الفكاهة، والدعابة اللطيفة، التي تعبّر عن معاني الطّفولة البريئة وقيمها، إذ يستخدم الأطفال الكثير من المعاني والمصطلحات، التي ربما لا يدركونها، أو يعرفون معنى واضحا لها؛ فمثلا مصطلح شكارة يعني مقدارا من القمح أو الشعير، توزن به الحنطة بأنواعها، مما قد لا يعرفه الأطفال في سنّ مبكرة.

ومما سبق، نجد أن المدلول الاقتصادي متداخل إلى حدّ كبير مع المدلول الديني؛ فالحسّ الديني في الطلب من الخالق لريّ الأرض، دليل واضح على هذا الارتباط. من جانب آخر، ومن منظور موسيقي، نجدّ أن اللحنين يتشابهان بشكل كبير من حيث المسار اللحني مع اختلاف في المقام الموسيقي.

3- الدلالة الاجتماعية:

انعكست الحياة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد ومفاهيم، على الأدب الشعبي عامة، وعلى غناء الأطفال خاصة. ويكاد الجانب الاجتماعي أن يكون متداخلاً مع الجانب الاقتصادي، لما لهذين الجانبين من ترابط كبير، فكلّ واحد منهما انعكاس للآخر، فمثلاً نرى أنّ الأم تغني لطفلها، وتتمنى أن يلحق بالرجال، وأن يكبر ليصبح فلاحاً للأرض مثل أبيه (سرحان، 1968) ؛ فنرى في هذا الغناء أو هذا المعنى، الدلالتين الاقتصادية والاجتماعية: فالدلالة الأولى لكونه سيصبح فلاحاً يفلح الأرض ويحافظ عليها، والدلالة الثانية، لكونه سيصبح رجلاً تفاخر به أمام الرجال، والعشيرة، وأهل البلد. وهذه النظرة موجودة في الريف الأردني بشكل خاص، ولعل القيمة الاجتماعية حسب نظرة المجتمع الريفي ترتكز على أساسين: أولهما أساس مادي، يتعلق بمهنة الأب، وثانيهما أساس معنوي، يتعلق بالقيم والأخلاق الحميدة، والسلوكيات الاجتماعية، التي يتفاخر بها أهل الريف بشكل عام (العمد، 1969).

ونلاحظ هذا في دعوة الأم لابنها، أن يكون شاباً يحمل بيده السيف، وهي كناية لقدرته على الدفاع عن أهله وعشيرته، وبذلك يصبح مفخرة لأهله، وعشيرته، ومصدر قوة لهم في النائبات، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على مدى العلاقة القوية بين أهل القرية والعشيرة، مما ينعكس على سلوك الأطفال؛ فتراهم يقضون النهار، وجزءاً من الليل وهم يلعبون مختلف أنواع اللعب على شكل جماعات، مما له أكبر الأثر في تقوية الروابط بينهم (سلوم، 1986).

نشكر الله وما اعطانا
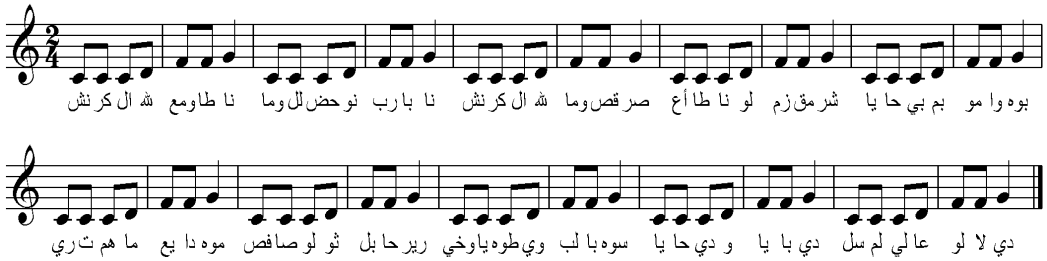
نُشْكُرْ اَللّه وْمَاعْطانا وْمَلاَ الْحُضْنْ وْرَبَانا
نُشْكُرْ اللهِ وْما قَصَرْ أعْطانا لُوُز مْقَشَرْ
يا حَبيبِ امُه وَأبُوه رِيتُهُمْ ما يعْدَمُوه
فَصلُوُ ثُوبِ الْحَرِيرْ وخَيَطُوُه ولْبَسُوُه
يا حَادِي وَيا بَادِي سَلِمْلِي عَلى اوْلادِي

وفي هذا اللحن الآتي أيضا، يوجد تطابق تام مع اللحن السابق، ماعدا نغمة واحدة، هي نغمة (صول)، بدل النغمة (فا) في المازورة الثانية من اللحن، وربما يكون ذلك للتعبير عن حالة الفرح بقدوم الصبي، في إشارة واضحة لأهمية المولود الذكر وتفضيله على الأنثى، فالمولود الذكر يشكل قيمة اجتماعية كبيرة عند مجتمعات الفلاحين وزرّاع الأرض، لكونه عونا لأهله، وسندا لهم في كلّ المناسبات، فضلا عنما سيحمله من طموح أبيه وأمه، اللذين ينتظرانه ليكبر، ويصبح شابا يحمل السيف على جنبه، ويتمختر ليباهيا به أقرباءهم وأهل الحي.

لما قالولي ولد
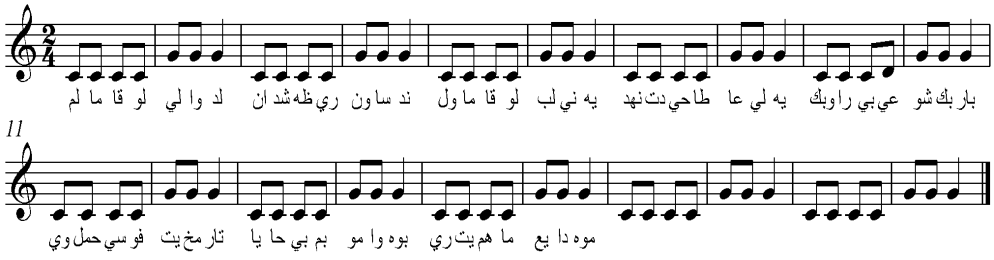
لمَا قالُولي وَلَدْ انْشَدْ ظَهْرِي وِنْسَنَدْ
ولمَا قالُولي بْنَية نْهَدَتْ حِيَطة عَلِية
وبُكْرَة بعِيش وْبكْبَرْ وبحْمِلْ سِيْفِ وْيْمَخْتَرْ
يا حَبيبِ امُه وَأبوه ريْتُهمْ مَا يعْدَمُوهْ

4- الدلالة الوطنية:

ينشأ الحس الوطني لدى الطفل، منذ تعرفه إلى الأرض التي يعيش فوقها، ومنذ تعرفه إلى ملامح وضعه الاجتماعي والواقعي، وقد تفتحت عيون الأطفال في الأردن، وتحديدا في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، على واقع سياسي صعب ومرير، تمثل في احتلال فلسطين، وما نشأ عنه من هجرات إلى الأردن، فضلا عن الحروب المتعاقبة التي فرضها واقع الإحتلال الصهيوني للأرض العربية الفلسطينية، والذي شكّل تهديداً مستمرا لاستقرار المنطقة بكاملها، مما أدى إلى وعي مبكر عند الأطفال في الأردن، لصياغة معانٍ تتحدث تصريحا أوتلميحا عن هذا الواقع، أو تقليد أغانٍ للكبار في حدود ما تسمح إمكانات الطفل لأدائه بهذه المعاني الوطنية، لتعبر عن الدور الذي اضطلعت به أغاني وألعاب الأطفال في كل المجالات السالف ذكرها، والتي منها الدور الوطني والسياسي وما يحمله من دلالات وقيم رمزية.

لقد عبر الأطفال في أغانيهم عن الثورة، وعن الدفاع عن الأرض وحمايتها، كما عبروا بهذه الأغاني، عن الكُره للمحتل، ومن يعاونه (إسرائيل وأمريكا)، وكيف أن الطفل قادر على حمل السلاح، للدفاع والذود عن أي جزء مغتصب من أرض الأمة العربية، ومما لا شك فيه أن الدلالة الوطنية والقومية، واضحة في بعض الأغاني، التي أنطلقت من خلال حناجر الأطفال في تلك الحقبة الزمنية، التي ما زال الكثير منها يتردد على ألسنة الأطفال حتى يومنا هذا.

وقد برزت الدلالة الوطنية في أغان، هي في الأساس تُؤدى لمناسبة ليس لها علاقة بالدلالة الوطنية أو السياسية، والأغنية التي في المثال الآتي، تتحدث في الأصل عن المطر والاستعداد له، ومن هذه المعاني البسيطة يشير الأطفال إلى مدى استعداد الفلاحين لموسم المطر، فهم على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سيحمي بيتهم، وسيرزقهم. ومثل هذه الأغاني تحمل أكثر من دلالة، فهي دلالة دينية، واجتماعية، واقتصادية، وميتافيزيقة (خيالية)، ووطنية أيضا، فقد يجدّ الأطفال أنفسهم منخرطين في معترك الحياة بكل تفاصيلها، فهم جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع، وهكذا هي أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، وهي واحدة من سماتها المميزة .

امطري وزيدي
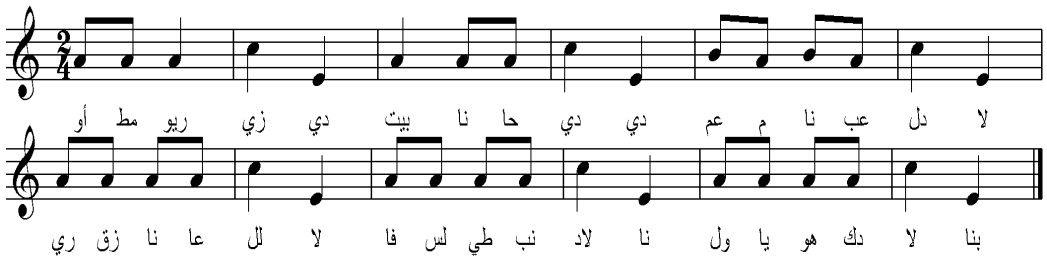
أُمْطُري وْزِيدِيْ بِيْتنا حَدِيدِي
عَمْنا عَبْدَالله رزقْنا عَلَى الله
فَلَسْطِين بْلادْنا وِاليَهُودِ كْلابْنا

وبشكل صريح ومباشر، تضمنت أغاني الأطفال الشعبية في الأردن الكثير من المعاني والدلالات التي تتحدث عن فلسطين، والتي تشكّل حالة من الألم والوجع، الذي لا يهدأ بالنسبة للإنسان المواطن الأردني، والسبب في ذلك هو العلاقة الوطيدة والمتحدة بين الشعبين؛ فمن الصعوبة بمكان أن يتم الفصل بين هذا التوأم المتجانس.

ومن الأغاني التي تحمل الدلالة الوطنية، أو التي يمكن أن يطلق عليها السّياسية أو النّضالية في أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، ما يغنّيه الأطفال أثناء لعبهم الجماعي، التي يطمح الأطفال بها، أن يكونوا من الذين يسهمون في تحرير فلسطين، كذلك التأكيد على الاعتزاز بالوطن والانتماء له، بما تحمله الأغنية من معانٍ.

بابا جبلي هدية
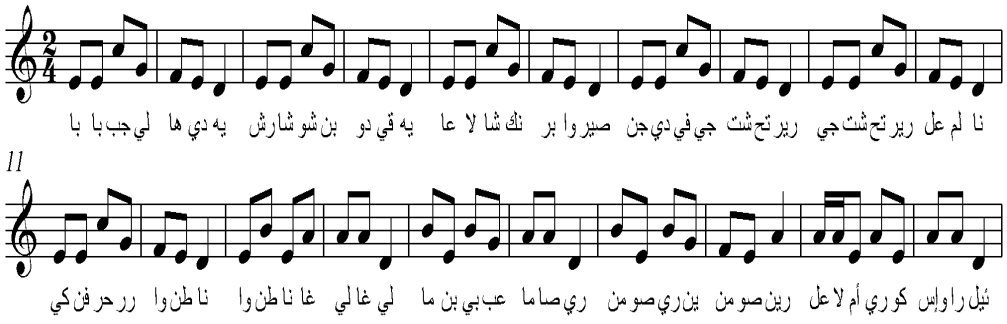
بابا جَبْلي هَدِية رَشْاشْ وبُنْدُقِيَة
عَلْشانْ اكْبَرْ وَصِيْر جُنْدي فِي جِيْش التَحْرير
جِيْش التَحْرير عَلَمْنا كِيفِ نْحَرِرْ وَطَنّا
وَطَنْا غالي غالي ما بنْبِيُعه بْمَصاري
مَنْصُورينْ مَنْصُورينْ عَلى أمْريكا وإسْرائيل

5- الدلالة التربوية:

تعدّ مرحلة الطفولة صلب العملية التربوية بالنسبة للطفل، فالخبرات التي تكتسب في هذه المرحلة، تشكل اساسا في وجدان الطفل وفكره، مما يصعب تحويله أو تغييره في مراحل لاحقة، لذا اكتسبت الأغنية الشعبية مكانة رفيعة في مجال تربية الطفل، لما تحمله من دلالات وقيم تربوية هادفة. وتعد أغنية الطفل الشعبية من أنجح الأغاني التي تقدم للأطفال أداءً واستماعا، لما تتميز به من شمولية الدلالات والقيم المتنوعة التي تعمل على إعلاء ثقافة الطفل وإغناء معارفه. إن أغاني الأطفال الشعبية جميعها تحمل الدلالة التربوية الهادفة فهي كما ذكرنا سواء كانت من إنتاج الأطفال أنفسهم أو من انتاج الكبار، فهي في حقيقتها تربوية تعليمية وهي تعمل على إعداد الطفل وتهيئته لمجتمع الكبار، ومن هذه الأغاني التي تحمل دلالة تعليمية واضحة ما يؤديه الأطفال في مراحل طفولتهم المبكرة، مثل:

هيك بيطيرو العصافير
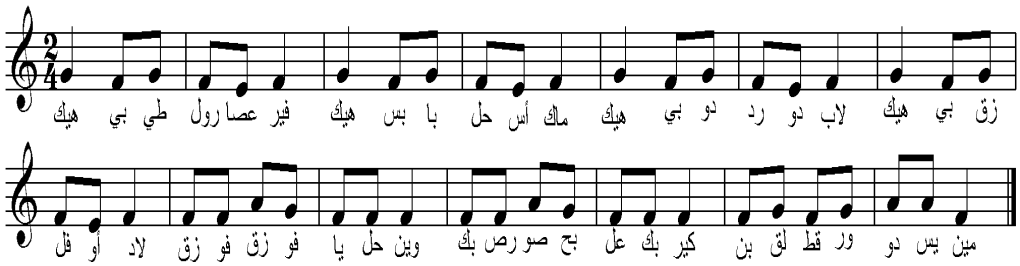
هِيكْ بِيطِيروا العَصَافيرْ
هِيكْ بِسْبَحوا الأسْماكْ

هِيكْ بِدُور الدْولابْ
هِيكْ بِيزَقْفُوا الأوْلادْ
زَقْفُوا زَقْفُوا يَا حِلْوِينْ
بُكْرَة الصُبحْ عَالبكِيْر
بِنْلِقِطْ وَرْدِ وْيَسْمِينْ

ففي هذه الأغنية يتضح الجانب التربوي التعليمي من خلال الإشارة الواضحة لكيفية طيران العصفور، أو كيفية سباحة السمكة أو دوران الدولاب، وبهذه الطريقة التربوية والتعليمية السلسة الميسرة، فإن الأطفال يتعلمون الكثير من المعاني والمصطلحات في إطار شيق وممتع وبمصاحبه الحركة واللعب. ومن الأغاني التربوية التي يؤديها الأطفال وتحمل دلالات تربوية وتعليمية في الحثّ على العمل، وبذل الجهد والتخطيط للمستقبل، الأغنية الآتية التي يؤديها الأطفال بقالب شيق وممتع:

ها لصرصور
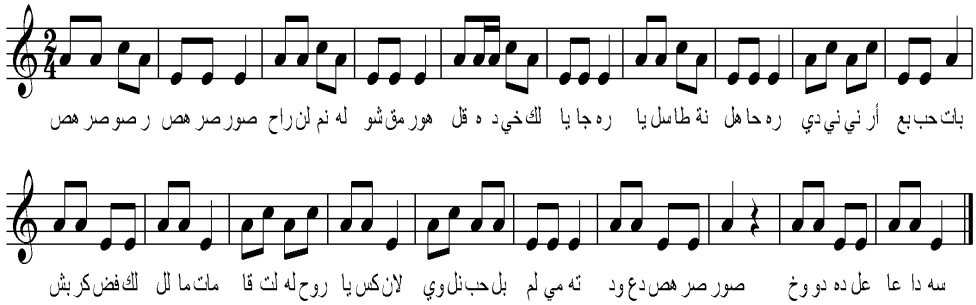
هَالصَرْصُوْر هَالصْرصُورْ رَاحْ لِلنَمْلِة شو مَقْهُورْ
قُلْها دَخِيلِكْ يَا جَارَه يَا سُلْطانِة هَالحَارَةْ
دَايِنِيِنِي أرْبَعْ حَباتْ بَشْكُرْ فَضْلِكْ لِلْمَماتْ
قَالِتْلُهْ رُوحْ يَا كَسْلانْ ويْن إلحَبِ اللَلمِيُتَهْ
وَدَعْهَا الصَرْصُورْ وخْدُودُه عَالْعَدِسهْ

6-الدلالة الميتافيزيقية:

الميتافيزيقية هي ما وراء الواقع، وهي ما يكون في الخيال بعيدا عن الواقع، بحيث يصعب تجسيده على شكل مادي ملموس، ويعدّ فكر الأطفال مجالا خصبًا لهذ النوع من الخيالات البسيطة، التي يعيشونها على أنها حقيقة، الأمر الذي يضفي على أغانيهم وألعابهم الكثير من المتعة والتشويق، وهذه الدلالة تعتمد بشكل رئيس على الخرافة الشعبية المتوارثة، أو المضمون الأسطوري الخيالي؛ فالمعتقدات التي ورد بعضها في أغاني الأطفال وألعابهم، مستوحاة من البيئة الاجتماعية، ومن أثر تعليم الآباء لأطفالهم ؛ فكلها مكتسبة، ما لم يكن للطفل دور في صنعها.

لقد أسهمت الحكايات الشعبية في بناء الخيال الأسطوري والخرافي عند الأطفال، خاصة فيما يتعلق منها بالجانب الديني، مثال ذلك الأغنية التي جاءت على لسان الأطفال، إلا أنها في حقيقتها تحاكي واقع الحال بالنسبة للكبار، وشوقهم لزيارة النّبي (صلّى الله عليه وسلّم)، كناية عن الحجّ، وأمنية تحقيقه الذي يعدّ فريضة على كلّ مسلم قادر:

خشيت بيت الله
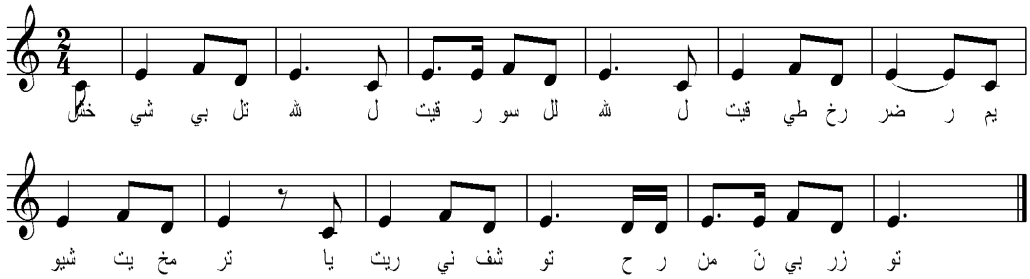
خَشْيتْ بيتَ الله لقِيْت رَسُولَ الله
لقِيتْ طِيْر اخْضَرْ يمْشي ويثْمَخْتَرْ
يا ريثْنِي شُفْتُه حَرَم النَّبي زُرتُه

لقد ابتدع الأطفال من خيالهم أيضا أغنيات يعبّرون بها، ويصوّرون ما يمارسونه أثناء لعبهم، بلغتهم ومصطلحاتهم الخاصة، فقد أصبح عندهم من المخزون الفكري والخيالي مما يستمعون إليه من الكبار، ما يمكّنهم من نسج القصص، وما تتضمنه من خيال:

شعري طويل
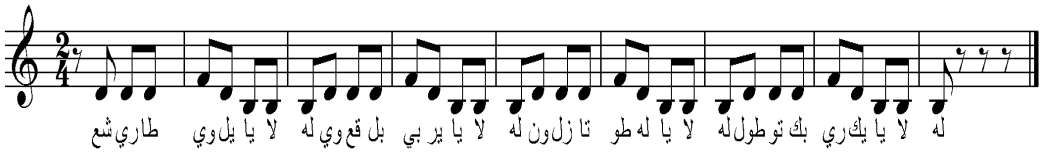
شَعْري طويلْ يا لالا وقِعْ بالبيرْ يا لا لا
إنْزلتَ اطوُله يا لالا طُلتُه بكْريكْ يا لالا

فهي تتخيل شعرها طويلا، وكيف أنه وقع في البئر، وحقيقة الأمر أن الأطفال في كثير من الأحيان، يعبرون عن أشياء ربما تكون في خيالهم، إلا أنها تعكس صورة حقيقية إن أمعنا النظر بها، ففي كلّ واحد من بيوت الفلاحين بئر،إما يقع في ساحته أو خارج البيت، وحين ينظر الشخص في عمق البئر يرى صورته، وهذه الفتاة الصغيرة حينما تنظر في البئر فإنها ترى شعرها الطويل وكأنه وقع في البئر. ومن الأغاني التي

تتحدث أيضا عن الدلالات الخيالية في أغاني الأطفال، أغنية "شمست شميسة"، والتي تدلّ كلماتها على القصة التي تعتمد الخيال الطفولي، أو ما يمكن أن يطلق عليه ما وراء الواقع:

شمّست شميسة
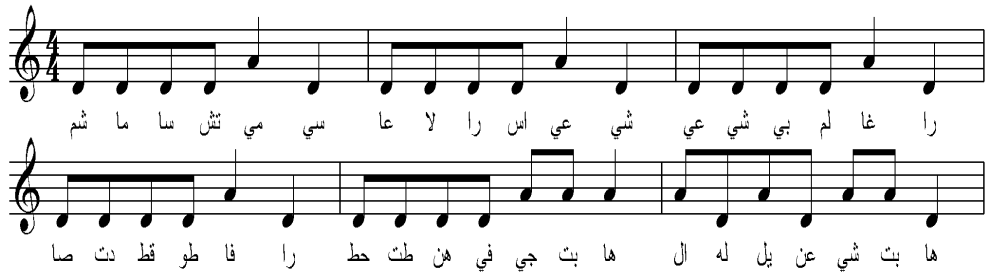
شَمَّسَتِ شْمِيسِة عَلى راس عِيشِه
عِيشِه بِالْمَغارَة صَادَتْ قُطّ وفارَة
حَطّتْهنْ في جِيبِتْها أللهِ يلْعَنْ شِيبْتها

ففي جلسات الكبار في التعلل والسمر في ليالي الشتاء الطويلة، التي كان يحضرها الأطفال غالبا، وتجمّعهم حول موقد النار، وفي ظل غياب تكنولوجيا الصوت والصورة "التلفاز"، وعلى الضّوء الخافت المنبعث من المصباح التقليدي القديم، كانت الحكايا "الخرايف" تُسرَد، ويستخدم فيها التضليل الصوتي، إذا كان المتحدث بارعاً، فكانت القصص تحاك عن الجنّ والغول؛ فينسج الكبار من خيالهم قصصاً، تكون من جهة وسيلة لتخويف الصغار وردعهم عن الأعمال المنافية للقيم والعادات الموجودة في تلك البيئة (أبو الرب، 1980). ومن جهة أخرى لتشويق الأطفال، وجمعهم حول الأم والأب في البيت، حيث كما أشرنا لم يكن هناك وسيلة للتسلية والترفيه غير القصص المحكية من قبل الكبار، والتي تتحدث عن الرجولة والشهامة والكرم والإيثار وغيرها من الصفات الحميدة.

ومن هنا يظهر تأثير البيئة الأردنية، وانعكاسها على المعتقدات السائدة في الأجيال السابقة؛ فالبيئة الجبلية التي يعيشون فيها، وعدم وجود وسائل التكنولوجيا الحديثة بجميع أشكالها، وما تتطلبه من كهرباء ومواصلات وطرق، وعدم تطّور التعليم، والاعتماد الأكبر على الزراعة، فضلا عن ما فيها من جهل، وبعض معالم التّخلّف، أدت إلى نمو هذه المعتقدات وترسيخها في عقول الأطفال. ومن هذه العادات والمعتقدات، عادة رش الملح على عتبة البيت الذي تلد فيه المرأة، اعتقاداً بأن رش الملح يطرد الشياطين، ويكثر من ولادة الذكور. ومن المعتقدات السائدة في الأوساط الشعبية أيضاً الاعتقاد بالحُجُب، التي يكتبها بعض شيوخ الطرق الدينية، مما أدّى إلى إظهار بعض المعاني بطريقة غنائية. فهم ينظرون إلى الحجاب، على أساس أنه وسيلة تحمي الطفل من الشّر، والحسد. فضلا عن ما كان سائدا في بعض الأوساط الشعبية في الأردن حين كسوف القمر، إذ كانوا يظنّون أن حوتاً كبيراً قد قضم القمر أو ابتلعه؛ فكان الأطفال يخرجون إلى الطرقات والحارات، حاملين معهم العصيّ، أو قطعاً من الحديد، يضربون عليها، مصدرين قرقعه وجلبة مغنيين، ظنّاً منهم أنهم بذلك يخيفون الحوت، فيترك القمر، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على مدى الجهل والبساطة التي كانوا يعتقدون بها في معظم أمور حياتهم.

ويرى الباحثون أن المعتقدات التي ورد بعضها في أغاني الأطفال الشعبية وألعابهم في الأردن، ما هي إلا انعكاس ونتاج للبيئة الاجتماعية، وهي مكتسبة من الكبار ولا دخل للصغار في صنعها أو وضعها، إلا أن الطفل الأردني، أضاف عليها من خياله الخصب، مما زاد في انتشار هذه الأغاني، وأصبحت بذلك موروثا شعبيا، يتناقله الأطفال جيلا بعد جيل.

نتائج الدراسة:

تتكون أغنية الطفل الشعبية من ثلاثة عناصر أساسية تندمج مع بعضها، لتشكل وحدة أساسية، وهذه العناصر الأساسية لا تنفصل عن بعضها، إذ لا يمكن أن تكون أغنية أطفال دون واحد من العناصر الآتية: النص الشعري، واللحن، والإيقاع. ولقد توصل الباحثون من خلال الدراسة التحليلية الموسيقية لنماذج أغاني الأطفال الشعبية في الأردن، المستخدمة في هذا البحث إلى ما يلي:

أولاً: نتائج تتعلق بالنص الشعري:

1- جميع النصوص الشعرية تكون عادة باللهجة المحكية (العامية)، في البيئة التي تتولد منها هذه النصوص، وهذا يعكس بشكل مباشر لغة الطفل أو اللهجة التي يستخدمها في حياته اليومية، بعيدا عن اللغة الفصيحة، التي نادرا ما يستخدمها الأطفال في تواصلهم مع بعضهم بعضا، أو في محيطهم الذي يعيشون فيه.

2- ورود العديد من الكلمات والألفاظ في أغاني الأطفال ليس لها معنى محدد أو دلالة معينة، سوى تنظيم الإحساس بالإيقاع الموسيقي.

3- ليس بالضرورة إيجاد وحدة للمعنى في النص الشعري المغنّى، وذلك بسبب تركيز أغاني الطفل على الإيقاع الموسيقي، وإغفالها لجانب وحدة المعنى، الذي قد لا يعني للطفل شيئا، في ظل إحساسه بموسيقى الكلمات والألفاظ.

4- ارتباط البيت الشعري بالبيت الذي يليه، ارتباطاً لفظياً وليس معنوياً، ويسير النّص في معظم نماذج أغاني الأطفال، حسب أسلوب تداعي المعاني.

5- الصورة الشعرية في معظم أغاني الأطفال الشعبية سطحية، وتخلو من التعقيد، وفيها الكثير من الخيال والبساطة، التي تتناغم وأحلام الطفولة، على الرغم من اللجوء إلى الرمز في بعض النماذج.

ثانياً: نتائج تتعلق باللحن:

1- اعتماد أغاني الأطفال الشعبية في الأردن والتي تضمنها البحث على مجموعة من الأجناس الموسيقية، صيغت فيها نماذجها اللّحنية، علما بأن هذه الأجناس لا تكتمل أنغامها في كثير من الأحيان، الأمر الذي دعا إلى اعتماد طريق استيحاء الجنس بشكل تقريبي للمقام، أما أهم هذه الأجناس فهي :

- أغنية ناموا ناموا: جنس نهاوند، درجة الركوز (ري)، المسافة الصوتية المستخدمة في هذه الأغنية، هي مسافة رابعة صاعدة .
- أغنية يا مفطر رمضان: جنس عجم على درجة (فا)، درجة الركوز نغمة فا، المسافة الصوتية ثالثة صاعدة .

- أغنية بكرة العيد بنعيد: جنس عجم على درجة (ري) درجة الركوز درجة ري، المسافة الصوتية رابعة هابطة.
- أغنية يلا الغيث يا ربي: جنس عجم على درجة (صول)، المسافة الصوتية ثانية هابطة.
- يلا الغيث يا دايم :جنس صبا بوسلك على درجة (ري)، المسافة الصوتية ،رابعة هابطة.
- أغنية ياالله الغيث يا ربي : جنس كرد على درجة (ري)،المسافة الصوتية ،ثاني صغيرة هابطة.
- أغنية نشكر الله وما اعطانا: جنس عجم على درجة (دو)، المسافة الصوتية رابعة تامة صاعدة.
- أغنية لما قالولي ولد :جنس عجم على درجة (دو)، المسافة الصوتية، خامسة صاعدة.
- أغنية امطري وزيدي: جنس كرد على درجة (مي)، المسافة الصوتية، ثالثة صاعدة، سادسة هابطة.
- أغنية بابا جبلي هدية: جنس نهاوند على درجة (ري)، المسافة الصوتية، سادسة صاعدة، رابعة هابطة.
- أغنية خشيت بيت الله: جنس عجم على درجة (دو) ودرجة الركوز هي الدرجة الثالثة (مي)، المسافة الصوتية، ثالثة صاعدة.
- أغنية شعري طويل: جنس كرد على درجة (سي)، المسافة الصوتية، ثالثة صاعدة، ثالثة هابطة.
- أغنية شمست شميسة: جنس نهاوند على درجة (ري)، المسافة الصوتية، رابعة صاعدة، خامسة هابطة.

2- استخدام بعض أغاني الأطفال طريقة الأداء الإلقائي (الإنشادي)، أو ما يسمى (Resetative) على نغمة واحدة (البعد الأحادي)، وبعض منها استخدم طريقة الإلقاء الإنشادي على نغمتين متباعدتين.

3- استخدام المنطقة الصوتية الوسطى المحصورة بالسّلم الموسيقي الغنائي .

4- استخدام المسافات الموسيقية الآتية: البعد الأحادي، مسافة الثانية بأنواعها، مسافة الثالثة بأنواعها، ومسافة الرابعة التامة، مسافة الخامسة التامة، مسافة السادسة بأنواعها، وجميع هذه المسافات في الاتجاهين (الصاعد والهابط).

5- استخدمت أغاني الأطفال الفكرة اللحنية الواحدة، فأحياناً تكون الفكرة في مازورتين، أو ثلاث موازير، أو أربع، وتتكرر هذه الموازير حسب النص الشعري لتكون اللّحن.

6- عدم استخدام أية آلة موسيقية في مصاحبة الغناء، والاعتماد كلياً على حنجرة الطفل، في أداء هذا اللون من الغناء، وتقتصر المصاحبة على التصفيق بالأيدي لضبط الإيقاع الموسيقي، حيث يعدّ ذلك إضافة حركية وسمعية مفرحة للأطفال.

المسافات والأبعاد الصوتية المستخدمة في أغاني البحث
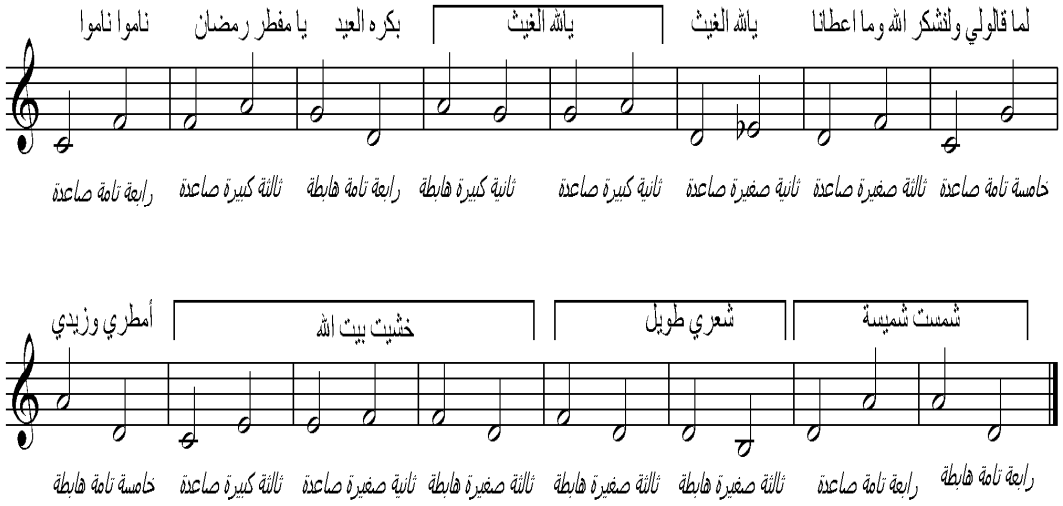
ثالثاً: نتائج تتعلق بالإيقاع:

1- استخدمت أغاني الأطفال التي تضمنها البحث الأشكال الإيقاعية الآتية:

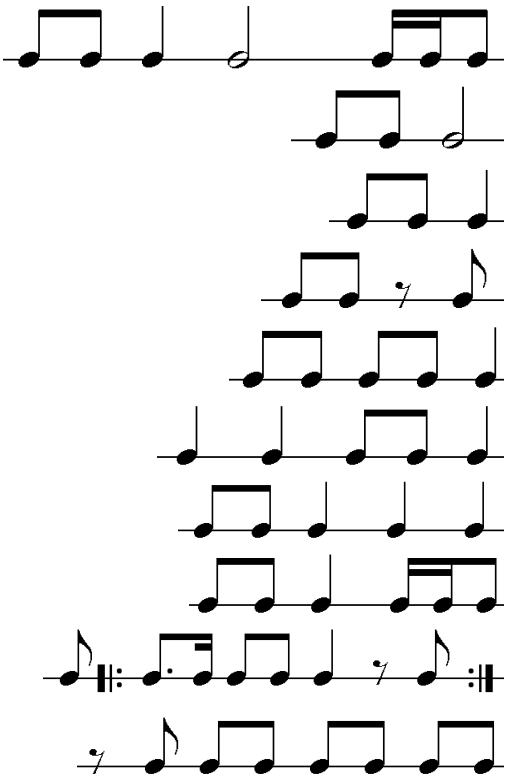

الضروب والموازين المستخدمة في أغاني الدراسة:

تعتمد أغاني الأطفال الشعبية في الأردن في أدائها بشكل عام، وكما هي أغاني الأطفال عامة على عنصر الحركة واللعب، لذا فهي تعتمد في أدائها على الإيقاع النشط، الذي غالبا ما يضفي جوّا من المرح على أداء الأطفال لهذه الأغاني. وعليه، فقد أظهرت النتائج أن الأغاني التي تضمنّها البحث في غالبيتها استخدمت أكثر من إيقاع واحد في أدائها، ومردّ ذلك يعود للحالة التي يكون بها الأطفال لحظة أدائهم لنوع أو أغنية معينة.

1. ايقاع الملفوف: أغنية خشيت بيت الله.
2. ايقاع الوحدة السائرة: أغنية بكرة العيد بنعيد ،أغنية امطري وزيدي، أغنية شمست شميسة، يا مفطر رمضان
3. ايقاع أيوب: امطري وزيدي، يا مفطر رمضان، خشيت بيت الله
4. ايقاع دوياك: بكرة العيد وبنعيد.
5. ايقاع مصمودي صغير: بابا جبلي هدية، لما قالولي ولد، نشكر الله وما اعطانا، ناموا ناموا، يا مفطر رمضان.

والشكل الآتي يبين ويوضح بعضاً من الايقاعات المستخدمة في أغاني وألعاب الأطفال الشعبية في الأردن:

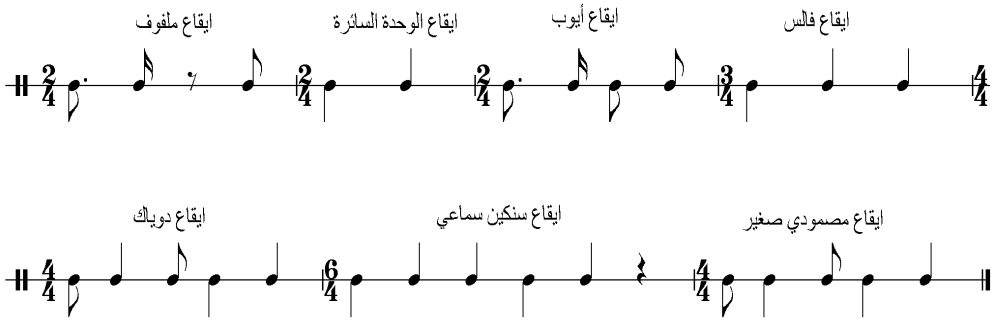

وفي ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة في نتائجها، خلص الباحثون إلى التوصيات الآتية:

1- إعطاء الفرصة للأطفال للتعبير عن أنفسهم بلغتهم الخاصة، وهو أمر على درجة كبيرة من الأهمية، للدخول وبشكل حقيقي إلى عالم الأطفال لما لذلك من أهمية في استخلاص أفضل الوسائل والأساليب للتعامل معهم في ظل المتغيرات السريعة.

2- العودة إلى بساطة أغنية الطفل بعيدا عن تعقيدات العصر، لإعطاء الأطفال مساحة من البساطة ليرتاح من تعقيدات التكنولوجيا التي يتعامل معها خلال اليوم.

3- توظيف الأغاني الشعبية في البرامج التعليمية، والأعمال الدرامية والموسيقية الموجه للأطفال لما لذلك من أهمية في ربط الأطفال بتاريخهم والذي هو أساس انطلاق للمستقبل.

4- توظيف أغاني الأطفال الشعبية في مناهج اللغة العربية للمرحلة الإساسية الأولى، لما تحمله من مضامين ودلالات، اجتماعية، ودينية، واقتصادية ....الخ.

5- استخدام الرموز والقيم والأشكال الإيقاعية والأبعاد الموسيقية، وتوظيفها لدارسي الموسيقى في المعاهد والكليات المتخصصة.

6- الاهتمام بجمع وتوثيق الفنون الشعبية بشكل عام، وأغاني الأطفال الشعبية بشكل خاص، فهي جزء من تراث الأمة وهويتها.

بِلِبْرِيقْ : بِإِبْرِيقْ.

يَضِيْ : يُضِيئُ.

ثْوَضَى : تَوَضَأ.

بَنوُرْ : بِلِلوْرْ- زُجَاجْ.

مْقَلِلْ : قَلِيلْ الدِينْ.

ثُوْكِلْ : تَأكُلْ .

هَلأ هَلأ : الآنْ .

ثُمُهُ : فَمُهُ.

معلأ : معلق .

يا بُمْ : يا سَمِينْ- تَخينْ .

سْعَيدْ: شَخْصِيَةٌ أُسْطُورِية .

الْغَيَثْ : الْمَطَرْ – الشِتاءْ .

النايمْ : النائِمْ- مِنْ قِلَةِ الْمَطَرْ .

هَلِلِيْ : الذِي .

عَا جَالْ : بِجَانِبْ .

الدَرَبْ: الطَرِيقْ .

شْوُشَة : مُقَدِمَةِ شَعْرِ الرَأس .

لْقَرَعْ : بِدُون شَعْرٍ – أصْلَعْ .

شْكارَه : وِحْدَةُ تَخْزِينْ الْحِنْطةِ –الْقَمْحْ.

بِلْغُورْ : مِنْطقَةٌ مُنْخَفِضَةٌ- غَوْرُ الأُرْدُنْ –مِنْطقَةٌ زراعِيَةٌ .

كَلْهَا : أكَلَهَا .

الْحِمْرِي وَالزَرْزُورْ : أنْواعْ مِنَ الطُيُورْ .

بِالْحارَةِ : الْحَيْ – الْمِنْطَقَةِ .

لِحْمارَة : الْحِمارَةُ – مُؤَنَثُ الحِمارْ .

لُوزْ مْقَشَرْ : كِنايَةٌ عَنْ بَياضِ الْطِفْلْ .

رِيْتُهمْ : لِيْتَهُمْ .

يا حادِي : كَلِماتْ تَعْنِي الْبَدْءُ في اللُعْبَةِ-الحادِي : القائِلْ .

الْبَادي :هُوَ الذي يَبْدَأُ اللُعْبَة .

إِنْشَدْ : إِشْتَدَ .

وِنْسَنَدْ : أصْبَحَ قَوياً .

نْهَدَتْ : وَقَعَتْ،سَقَطَتْ.

حِيطَة : حائِطْ .

يَتَمَخْتَرْ : يَتَمَشى بِخُيَلاءْ .

اُمْطُريْ : طَلَبْ المَطَرْ .

حَدِيديْ : قَوِيْ كَالْحَديدْ .

بمَصَاري :بِفِلوس ، بِثَمَن .

شُفْتُه : رَأَ يْتُه.

وَقَعْ : سَقَطْ .

انزلت : نَزَلَتْ.

طُلْبتُه : أَمْسَكْتُ بِهِ.

بِكْرِيكْ :أداةٌ تُسْتَخْدَمْ في فِلاحَةِ الأرضِ والبناءْ-مِجْرَفَة .

شُمِيَسةْ: تَصْغِيرْ لِلشَمْسْ.

عِيَشَةْ : تَصْغِيرْ إِسْم عائِشَةْ .

صادَتْ : اصْطادَتْ .

حَطْتُهنْ : وَضَعْتُهنْ .

يِلْعَنْ : كَلِمَةٌ تُقالْ لِلشَتْمْ .

شيبتها : الشعر الأشيب-كناية عن المرأة العجوز .

قائمة المصادر والمراجع:

أبو الرب، توفيق (1980) دراسات في الفلكلور الأردني. منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان.

أبو سعد، أحمد (1982) أغاني ترقيص الأطفال عند العرب. دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت.

الباش، حسن (1979) الأغنية الشعبية الفلسطينية: تراث، تاريخ وفن. دمشق، سوريا.

الخوالدة، محمد (1987) اللعب الشعبي عند الأطفال. جامعة اليرموك، الأردن.

الخوري، لطفي (1976) فلكلور الأطفال. مجلة التراث الشعبي البغدادية، 6، بغداد.

سرحان، نمر (1968) أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن. جمعية عمال المطابع التعاونية، منشورات دائرة الثقافة والفنون – وزارة الثقافة والإعلام، عمان.

سلوم، فاروق (1986) الكتابة على صفحة بيضاء. مجلة التراث الشعبي البغدادية، الطبعة الأولى، دار ثقافة الطفل.

صبري، عائشة، صادق (1978) طرق تعليم الموسيقى.مكتبة الأنجلو المصرية، ط:

الصنفاوي، فتحي (1982) الطفل المصري بين أغنيته الشعبية وأغنية الاذاعة والتليفزيون. دراسات وبحوث عن الطفل المصري والموسيقى، المؤتمر العلمي الأول، كلية التربية الموسيقية، جامعة حلوان، القاهرة، 5-8 إبريل: 255-265.

الغوانمة، محمد (1989) إمكانية توظيف الأغنية الأردنية في تعليم العزف على آلة العود.رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية الموسيقية ، القاهرة.

العمد، هاني (1969) أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الأردن. منشورات دائرة الثقافة والفنون، وزارة الثقافة والإعلام، الأردن.

العنتيل، فوزي (1965) الفلكلور ما هو. مكتبة الأدب الشعبي، القاهرة.

عوض، ناديا (1982) الطفل والأغنية. دراسات وبحوث عن الطفل والموسيقى، المؤتمر العلمي الأول، كلية التربية الموسيقية، جامعة حلوان، القاهرة، 5-8 إبريل: 75-79.

مختار،آمال، أبو حطب، فؤاد (1999) نموّ الإنسان. مكتبة الأنجلو المصرية ،ط:4.

قدوري، حسين (1980) لعب وأغاني الأطفال الشعبية في القطر العراقي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد.